تقديس الكلب في معتقدات الشرق الادنى القديم (بلاد الرافدين و وادي النيل أنموذجا)

أ.م.د حسين عليوي عبد الحسين السعدي

كلية الآثار / جامعة الكوفة

Husseina.alsaadi@uokufa.idu.iq

تقديس الكلب في معتقدات الشرق الادنى القديم (بلاد الرافدين و وادي النيل أنموذجا)

أ.م.د حسين عليوي عبد الحسين السعدي

الملخص

تتمتع الكلاب في حضارتي بلاد الرافدين و وادي النيل بنوع من التقديس وصل حد التأليه نتيجة لأهمية هذا الحيوان في حياة الناس خاصة في عمليات الصيد والرعي التي كان دور الكلب فيها محوريا اذ شكل وجوده مع بني البشر منذ العصور المبكرة عاملا مساعدا في تلك العمليات لغرض الحصول على الطعام ،ثم تطورت أهمية الكلب في كلا الحضارتين و ظهر له نشاط ومهام أخرى في ساحة الفكر الاعتقادي أذ أدخل في الممارسات السحرية ذات الطابع الديني للتطبيب و الشفاء من الامراض النفسية التي تسببها بعض الشياطين ،رغم تشبيه بعض الشياطين التي تسبب الشر للانسان بهذا الحيوان، كما كان له دور في ارشاد الموتى الى العالم الاسفل ،و حماية أجسادهم بتدخله بعمليات التحنيط عند المصريين أذ عد الها للتحنيط و الها حاميا للمقابر.

The sanctification

of the Dog in the beliefs of the ancient Near East(Mesopotamia and the Nile Valley as a model)

Asst.Prof. Hussein A.Al-saadi

Faculty of Archeology – University of Kufa Husseina.alsaadi@uokufa.idu.iq

Research Summary

Dogs in the two civilizations of Mesopotamia and the Nile Valley enjoy a kind of sanctification that reached the point of cultism as a result of the importance of this animal in people's lives, especially in hunting and grazing operations in which the role of the dog was pivotal, as its presence with human beings since early times constituted a factor that helped in those operations for the purpose of obtaining the food. Then the importance of the dog developed in both civilizations, and other activities and tasks appeared in the arena of belief, as it was entered into magical practices of a religious nature to treat and heal people

from psychological diseases caused by some demons and physical ones that are treated from dog remains such as droppings. Although some demons that cause evil to humans are similar to this animal. He was also given the task of guiding Almuty to the underworld. And protecting their bodies by interfering with the embalming processes of the Egyptians, as it was considered a god of mummification and a protector of tombs in the civilization of the Nile Valley.

المقدمة

أن تطور الفكر البشري قد مر بمراحل وعصور عدة و قد أحاطت و رافقت هذا التطور عناصر كثيرة حيوانية كانت أم نباتية أم جمادا مما تضمه الارض التي تعيش عليها كل المخلوقات صغيرها وكبيرها، و كان في مقدمة تلك المخلوقات بعض الحيوانات التي برزت مع ظهور أول ثقافة بشرية على وجه المعمورة ،أذ كان لها دور مهم في الحياة اليومية للناس ،حتى أنهم أدخلوها في صلب معتقداتهم الدينية لاهميتها في مجالات العمل و تأمين المعيشة.

وقد بالغ الناس في هذا خاصة في مناطق الشرق الادنى القديم التي تعد من أوائل مناطق الاستيطان البشري أذ نجد في حضارتي بلاد الرافدين و وادي النيل أمثلة عدة توضح تقربهم من بعض الحيوانات لدرجة تقديسها و جعلها رمزا مميزا لبعض معبوداتهم ،فأدخلوا تلك الحيوانات بشكل مباشر في الطقوس و الممارسات و الشعائر الدينية، فصارت بعض الحيوانات تعبر عن فكرة الخصب و التوالد مرة أو عن حماية الانسان مرة أخرى بتعبيرها عن فكرة التطبيب والمعالجة في بعض الاحيان مع معبودات أخرى، بل أن حضارة وادي النيل قد أدخلت أنواع من الحيوانات الى عالم الموتى ومنها الكلب الذي كان حاميا لهم في العالم الاخر ، فقد كانت فصيلة الكلاب التي تمثل فصيلة أبن آوه بأنواعها المتنوعة وبنماذجها المتعددة من الكلاب قد دخلت في الافكار الاعتقادية لأهم وأقدم حضارتين ،وأن الذي عزز هذا الدخول في الجانب الديني في الشرق الادنى القديم بقوة هو أن بعض سكان هذه المناطق و منهم سكان بلاد وادي النيل قد جعلوا من فصيلة الكلبيات أحد أهم آلهة العبور الى العالم الاسفل بل جعلوا رمز الكلب الها مطلقا للمقابر و للعالم الاخر (عالم الاموات) ، كما أن معظم النتاجات الفنية البدائية الاولى و ما بعدها في العصور التاريخية في الشرق الادنى القديم كانت ذات مدلول ديني بسيط أدخل فيه هذا

الحيوان بصورة مباشرة أو غير مباشرة ،وهذا التعامل يوضح بشكل جلي ماكان يجول في تلك المنطقة من أفكار و أعتقادات دينية خاصة في بلاد الرافدين وفي بلاد وادي النيل.

ويتضح هذا الوجود من الانماط و الافكار الاعتقادية البدائية التي تعامل بها الانسان في منطقة الشرق الادنى ومنها حضارتي وادي النيل و بلاد الرافدين الموغلة في القدم بسبب السبق الحضاري و التاريخي للحضارتين فقد كانتا أول من أشار الى الحيوانات بشكل عام ،لهذا فقد تم أتخاذ تقديس الكلب موضوعا لبحثنا لتسليط الضوء على أقدم أنواع التقديس لاحد أنواع فصيلة الكلبيات الحيوانية المهمة، أذ كشفت التنقيبات الاثرية عن البقايا التي تعود الى تلك الفصيلة والتي يرجع تاريخها الى الالف الحادي عشر قبل الميلاد و المتمثل بأثار قرية نمريك في شمال بلاد الرافدين مرورا بمواقع زاوي جمي و كهف شانيدار و جتل هيوك، حتى أن رموز الكتابة الصورية الاولى قد ورد فيها صور للحيوانات المراد التعبير عنها عن طريق رسم صورتها وكانت قد صورت فصيلة أبن آوه **(فصيلة الكلبيات)** هذه بشكل واضح .

الكلمات المفتاحية: بلاد الرافدين، بلاد وادي النيل ،التقديس

أولا :<u>نبذة عن الكلاب في بعض مناطق الشرق الادنى القديم</u>

تعد فصيلة الكلبيات من اولى الفصائل الحيوانية التي دجنها الانسان في الشرق الادنى القديم،وهذا يدل على وجود عمق صلات قديمة بين الانسان و فصيلة الكلبيات و ظهرت أنواع هذه الفصيلة في بلاد الرافدين منذ العصر الحجري القديم وأنقرض الكثير منها و بقي صنف الكلب البري الذي شاع ذكره في حضارتي بلاد الرافدين وبلاد وادي النيل (Daniel, 2009, P.60) وبحلول العصر الحجري الوسيط بدأت مرحلة أستئناس الكلب تمهيدا لتدجينه بشكل كامل في العصر الحجري الحديث، في بلاد الرافدين،أذ كانت لحوم الكلاب مصدرا للغذاء و أيضا أستخدم الكلب في الصيد و ربما لحماية المخيمات من هجوم الحيوانات و التجمعات السكانية الاخرى(Brock, 1980,p.37 ; Hayes, 1978,p.31) فقد أنتشرت الحيوانات الاليفة والمتوحشة و منها الكلاب في مناطق الشرق الادنى القديم وخاصة في بلاد الرافدين وبلاد وادي النيل بسبب توفر المراعي المناسبة و وجود المياه من نهري دجلة والفرات و النيل،لهذا كان نصيب التدجين للحيوانات الاليفة مبكرا في تلك الحضارتين ، لتوفر أسبابها و لقرب الحيوانات من الانسان بسبب وجودهما الحر في الطبيعة بدون أي حواجز، فأخذ الانسان القديم يفرد لها جانبا مهما من تفكيره فهي مصدر رعب و خوف كما انها مصدر مهم من مصادر غذاءه، و لتعدد حاجات الانسان

المعيشية،فقد كشفت التنقيبات الاثرية أن الانسان في منطقة الشرق الادنى القديم كان لديه أتصال بالحيوانات وظهر هذا في قرية أريحا بفلسطين التي تعود بتأريخها الى الالف العاشر قبل الميلاد،و ايضا ظهرت في مناطق الهضبة الايرانية منذ العصور الحجرية المبكرة، أذ اهتم سكان الشرق الادنى القديم بالكلاب لاهميتها الاقتصادية، وقد تعاظم دورها في العصور اللاحقة و بدا هذا واضحا منذ الالف العاشر ق.م في موقع (كول تبه) في اعالي دجله(Michelle, 2004, P.31, 228) علما أن أقدم تواجد للكلاب في الشرق الأدنى القديم يعود الى حوالي ١٢٠٠٠ قبل الميلاد و تتميز عائلة الكلبيات هذه بهيكل عظمي يحدد حجم و شكل الحيوان وتختلف هيئات الاناث في هذه الفصيلة عن الذكور كون كل منها يتميز بميزات حيوانية مثل زيادة عدد العظام عند الذكور بسبب وجود بعضها في القضيب (النجم، ٢٠٠٦،ص٤٦) و أهم عظام جسم الفصيلة المذكور هي الاسنان التي تكون حادة و طويلة الانياب(Brock, 1980, p.39) ،وهذه الهيئة جعلت الكلب خير رفيق للانسان للقيام بالمساعدة في أعمال كثيرة و أهمها عمليات الصيد ،أضافة الى حاجة الانسان القديم للكلب في الرعي بمختلف العصور(دانيال،١٩٩٠،ص٥٨٧- ٥٨٨) وتظهر البقايا العظمية لبعض الحيوانات في مناطق الشرق الادنى القديم خاصة في بلاد الرافدين و بلاد وادي النيل في وقت مبكر اذ ان السكان في تلك المناطق قد تعاملوا مع بقايا بعض الحيوانات تعاملا طقوسيا كون تلك البقايا كانت قد دفنت بشكل منظم بعيدا عن مواقع السكن، و برغم أن كثرة البقايا العظمية ربما يرجح الى أنها كانت مصدرا للغذاء بالدرجة الاولى الا أن مستوى التطور الذي برز لاحقا يظهر أن مفاهيم بدائية كانت قد أنبثقت خلال المرحلة المبكرة و أنها تطورت بعد ذلك لتصبح نواة لافكار أعتقادية ثابته(Clbert, , 2000, P. 170) ويشير أحد الباحثين الى أن كما هائلا من الحيوانات كان لها دورا دينيا مقدسا بشكل او بأخر في تلك المرحلة ، و حتى التي لم يكن لها نمط ديني مثل الخيول في مصر حتى عصر الهكسوس وهي لم تمثل رمزا لاي معبود في تلك الحقبة لكن رغم ذلك تم أدخالها في الصور الدينية مع المعبودات من الاناث المحاربات مثل الالهة (**عشتار Ištar**) التي وصلت عبادتها الى مصر ،كما ظهرت صور الاله (**حورس Horus**) فوق الجواد في العصور المتاخرة، وظهر الكلب على الساحة الاعتقادية في حضارة وادي النيل بكونه اله المقابر الذي يقود الموتى و يأخذهم بيده الى محكمة القرار (**محكمة العالم الاسفل**) أي عالم الموتى، أما في بلاد الرافدين فقد ظهرت المشاهد التي تحكي قصة البدايات الأولية لعلاقة فصيلة (**ابن آوه**) المتمثلة بنوع من أنواع الكلاب مع السكان الاوئل لبلاد الرافدين في عصر الوركاء فقد أشارت المكتشفات الى أن تلك

المشاهد كانت تمثل مناظر الرعي و تنظيم الحياة الاقتصادية لسكان المستوطنات التي تعود بتاريخها الى الطبقتين الرابعة والثالثة أي بحدود ٣٥٠٠ – ٢٩٠٠ ق.م،وتعود السلالة الكلبية في أصلها الحيواني الى عائلة الذئاب و الثعالب المتوحشة بأنواعها و أشكالها المختلفة و تعد من آكلات اللحوم ورغم تدجين الكلاب من قبل الانسان فالكلب هو الحيوان الاليف الوحيد الذي يأكل اللحم(Arlene, 2002, P. IX.) و ربما لهذا أرتبط بالافكار الاعتقادية المبكرة في آسيا الصغرى أذ توصف الهة التنبئوات(**هيكاتHekate**) في تلك المنطقة من الشرق الادنى بكونها الهة الكلاب التي تمتلك مجموعة من الكلاب المتوحشة،كما ظهر الكلب في عدة ممالك في مناطق شبه الجزيرة العربية نتيجة لأهميته أذ جسد في مملكة حمير بنسبة واحد بالمئة و في ملكة قتبان بنفس النسبة و في حضرموت بنسبة أثنان في المئة و عند المعينيين بنسبة خمسا في المئة، أما عند السبئيين فكان نسبة تجسيده قد وصلت الى سبعا في المئة،أذ أهتمت تلك المناطق بتربية الكلب بسبب أستعماله الشائع في الصيد و هذا ما خلدته لنا الرسومات الحجرية في المناطق المذكورة(العميسي،٢٠١٣،ص ١٣٨–١٣٩)

ثانيا / تقديس الكلب في بلاد الرافدين

تعاظمت أهمية هذا الحيوان و خاصة مع فجر التاريخ أذ ذكر أسمه بشكل واضح من قبل السكان من السومريين الذين كتبوه في اللغة السومرية بالمقطع (**UR**) و لم يغفل الاكديون أهمية الكلب بل أدرجوا أسمه تحت مصطلح (**kalbu**) ، وقد ظهر الكلب في بلاد الرافدين بزمن مبكر من عصر الوركاء كما ذكرنا آنفا و برز على الساحة الاعتقادية بعد هذا التاريخ بشكل يلفت الانظار(Albert, 2000,p.4) و تعود أقدم البقايا العظمية الواضحة للكلاب الى قرية جرمو من العصر الحجري الحديث وربما كان بسبب الأهتمام بتدجين الكلاب يتمحور حول ولادة أفكار أعتقادية بدائية ضمنية في هذه القرية تتعلق بتقديس هذا الحيوان ومما يؤكد على أمكانية حصول هذا التقديس هو العثور على بعض الدمى الطينية و التي شخصها المنقبون على أنها تعود لمجموعات من الكلاب يريجح أنها لذكور الكلاب والتي كانت لها أهمية في هذا الموقع(Wiggermann, 2017,p.166) و قد أستمرت و تطورت أهمية الكلاب في الممارسات الدينية نتيجة دخول الكلاب في الوصفات والعلاجات الطبية و خاصة الروحانية أذ كان هناك أفكار أعتقادية تتعلق بأكتشاف وصفات سحرية مرتبطة بكون الكلب بجنسه المذكر طارد للشياطين رغم أن نفس الافكار تجعل من االشيطان كلب شرير متوحش يؤذي بني البشر و يسبب لهم الامراض خاصة الكلب

ذي اللون الاسود الذي غالبا ما كان يسكن في الصحارى و المقابر و المناطق الموحشة و عند الجيف و القاذورات، و هنا يجب الاشارة الى أن هذا الوصف قد أنطبق على الكلب في وادي النيل أيضا أذ كان الكلب في فكرهم الاعتقادي قد أرتبط بالمقابر ولكن أعتبره السكان حاميا لارواح الموتى التي ترقد في تلك المقابر،و كان الكلب ذي اللون الاسود قد برز في الافكار الاعتفادية الخاصة بتقديس الحيوانات اللبونة ذات الاهمية في حياة الناس منذ فجر التاريخ في عصر السلالات بحدود (**٢٦٠٠ ق٠م**) في بلاد الرافدين كما ظهر هذا النوع من الكلاب في النصوص التعزيمية في مواقع (**فارة**) و (**أبو الصلابيخ**) و نصوص أخرى من موقع(**أبيلا Ebla**) و ان تلك النصوص تميزت بصعوبة الفهم و الترجمة لما يتخللها من تعقيدات تتعلق بمفهوم تقديس هذا الحيوان ،أذ تشير تلك النصوص المذكورة أن الكلاب قد أرتبطت بمكان يدعى بحانة الموتى، فيرد في بعض نصوص التعزيم أن الكلب الشيطاني يضطجع في حانة يجتمع فيها الموتى المغادرون الى العالم الاسفل،و أن تلك الحانة واقعة على حدود ذلك العالم الذي هو بحسب راي علماء الاثار (**Wiggermann**, 2010,p.407 ; **Wiggermann**, 2017,p.166) المكان الذي يتوقف فيه الموتى في طريقهم الى (أرض اللاعودة) الذي ورد ذكرها في ملحمة كلكامش، كما يرد ذكر لنوع الكلاب السوداء في نصوص التعازيم الاشورية من مرحلة العصر الاشوري القديم،أذ نقرأ مانصه ((**كلب مترصد**)) و أيضا يرد ((**كلب يهجم**)) و كذلك يرد ذكر لنوع من الكلاب وهي تقوم بدورية في الطرق من العصر البابلي القديم، و ايضا يرد ذكرها في نصوص التعزيم البابلي رغم عدم ذكر الوانها بشكل محدد،كما عد الكلب ذي اللون الاسود مفتاحا لفك السحر الاسود عن الشخص المسحور في بلاد الرافدين،أذ يدخل الكلب ذي اللون الاسود في تعازيم طرد الشيطانة القاتلة للاطفال الرضع المدعوة بـ(**لماشتو Lamaštu**) و كانت سلسلة التعزيم هذه تدعى بـ (**a gallû-demon**) ،و التي تعود للكلب الاسود الذي اخذ معنى و وصف الشيطان الذي يجلب الموت، و كما ذكرنا سابقا فأن ازدواجية الأذية و الحماية كانت تتمثل في الكلاب فمرة يستخدمون للحماية بشتى أشكالها و مرة يكون الكلب مصدرا للشرور و للأذية،و لهذا يرد في بعض النصوص الطبية السحرية أن غائط و دم و لحم و شعر الكلب يستخدم في الوصفات العلاجية التي غالبا ما تعالج الامراض التي تسببها الشيطانة (**لماشتو**) بوصف الكلب خصما قويا و عنيدا ضد تلك الشيطانة(Wiggermann,2017, p.167 ; Wiggermann,2010,p.407,414)ومما يعزز سمة القدسية للكلاب وجود بعض الممارسات ومنها دفن عدد من الكلاب على أختلاف الوانها في مداخل الابنية لتمنع دخول الشر بشكل عام و تمنع

الشيطانة (لماشتو) بشكل خاص من الدخول الى غرف النوم في البيت و تطردها للخارج و تتعاظم سمة التقديس التي وصلت الى حد مقاومة الكلب لشيطانة ذات قوة و منزلة كبيرة كونها تعد أبنة اله السماء(**آن AN/آنو anu**) كبير آلهة بلاد الرافدين و أب كل الآلهة ،أذ كانت من وظائف الكلب هي السهر طوال الليل لصد هجوم تلك الشيطانة و طردها و منعها من العبث بأفراد البيت ولهذا أستعمل الاشوريين الكثير من تماثيل الكلاب في طقوس التعزيم في العصر الاشوري الحديث،و يذكر أحد النصوص الاشورية من هذه الحقبة ان طقسا دينيا معينا كان يستلزم جلب خمسة ازواج من الكلاب والمرجح أنها كانت مذكرة الجنس كل زوج منها يتميز بمميزات جسمانية معينة على ان تكون الوانها مختلفة أختلافا تدريجيا و قد دفنت مثل هذه النماذج من الكلاب في المدخل الشمالي لقصر في نينوى وفي مداخل القصور في مدن أور و كيش(Wiggermann,2017 ,p.167-168,170)، ونستشف من عبارتين مكتوبة على أحد تماثيل الكلاب تذكر أن ((**الكلب الاسود لايهدد البشر لكن يحميهم في أماكنهم الامنة**)) و ((**مجموعات الكلاب الحارسة هم كلاب الالهة كولا Gula عشيقة كل الكلاب و الهة الشفاء**)) تاكيدا على الارتباط الوثيق بين الكلاب و الالهة خاصة بجنسها المذكر فقد ذكرت بعض نصوص سلسلة تعازيم (**Udug ? ul?**) في أشارات عدة على علاقة العشق و ربما الزواج بين الكلاب و ربات الشفاء غير الالهة (**كولا**) مثل الالهة (**نينكورا Ninkurra**) و الالهة (**نينسينا Ninisina**) و هذا الارتباط قد أشرك الكلب ضمنا في عمليات الشفاء المقدس التي يتم فيها معالجة روح المريض بطرد الارواح الشريرة عنه و أيضا تدخل الكلب بشكل مباشر في عمليات تطبيب جسد المريض من الجروح و بعض الامراض الاخرى و بشكل أوسع كانت الكلاب مرتبطة بشكل أو بآخر بالموت و الشفاء و المساعدة في طرد الشر و حماية بني البشر، و بذلك فقد أحتلت مكانة مقدسة في الساحة الاعتقادية في ديانة بلاد الرافدين لقيامها بتلك الاعمال التي كانت من أختصاص الالهة حصرا، ،لهذا فأن الكلب في الفكر الاعتقادي عند السومريين والاكديين يمكن أن يكون مصدرا للخير أو مصدرا للشر فهو أحيانا صديق للانسان و أحيان أخرى عدو و هذه الازدواجية هي صفة أغلب الالهة و منهم الالهة الكبار في مجمع آلهة بلاد الرافدين في العالمين الارضي و السفلي(**العالم الاسفل**) ،و ربما لتمتع الكلاب بنوع من القدسية فقد أتسعت وظائفها لتشمل التدخل في معرفة الطالع في نصوص التنجيم من العصر البابلي القديم في بلاد الرافدين أذ نقرأ ((**عندما تظهر كلاب سوداء مع كلاب ملونة تكون قوتهم كافية لدفع الشر**)) أذ كان نوع الكلب هو مايحدد نوع الطالع سواء أكان خيرا او شرا، ويستطرد الفكر الاعتقادي

برفع مستوى الكلاب ليجعلها وثيقة الشبه بالالهة التي تأخذ بأيدي الموتى لتقودهم من عالم الاحياء الى عالم الاموات و بهذا يكون عملها مشتركا بين عالم المعيشة و عالم الموتى(**العالم الاسفل**) وهم بهذا يشتركون مع الشياطين التي لها القدرة على الدخول و الخروج من عالم اللارجعة (**عالم الاموات**) الذي تحكمه ضوابط وحدود صارمة لا يستطيع الدخول اليها و الخروج منها حتى الالهة الكبار بدون سبب و بدون موافقة مجلس الالهة، و ربما كان هذا الامتياز الذي حصلت عليه الكلاب هو بسبب وجود مشتركات بينها وبين الشياطين فهم يسكنون نفس المناطق المعزولة أذ ساد أعتقاد في بلاد الرافدين ان الحيوانات البرية و خاصة المتوحشة و آكلة اللحوم كانت تقطن في مكان واحد في تلك الايام الموغلة في القدم، فتسبب الرعب و الخوف للرعاة و مربي الماشية و للبدو الرحل و أصحاب القوافل التجارية من التجار أثناء مرورهم عبر تلك المناطق الموحشة، لهذا نجد أن عمل الكلاب هو تقريبا نفس عمل شياطين الـ(**كالا galla**) وهم يمثلون شرطة العالم الاسفل الذين تعاملوا مع الالهة (**أيناناINANAA /عشتار**) أثناء دخولها و خروجها من العالم الاسفل و الذين أحتجزوا الاله (**دموزي Dumuzi / تموز Tummuz**) و أخته الهة الحضائر الالهة (**كشتن– أنا Geštin–anna**) ليقضي كل منهم نصف العام مسجونا في عالم الموتى ، وان أنتقال الكلاب من مجال الى آخر و تمتعها بصفات الالهة و الشياطين يؤكد و بدون اي شك أن للكلاب منزلة مقدسة ومهمة في ساحة الفكر الاعتقادي في ديانة بلاد الرافدين (Wiggermann,2010,p.407,414 ; Wiggermann,2017, p.167) وبهذا يكون الكلب قد تجاوز مرحلة التقديس و وصل الى مرحلة التأليه بحصوله على صفة حامي البشر و عشيق لربات الشفاء لذا يمكننا ان نستنتج ان الكلب قد أخذ مكانه في مجمع آلهة بلاد الرافدين بكونه اله و ان لم تصرح ديانة بلاد الرافدين بهذا بشكل علني و واضح ربما لعدة أسباب منها على سبيل المثال هو عدم رغبة الكهنة في حيونة الالهة و جعلها آلهة كاملة بل أخذوا منها سمة الرمزية فقط او ربما من الاسباب الاخرى في عدم تأليه الكلب رغم تمتعه بكل هذا يعود كونه يتغذى على الجثث و القاذورات و القيء و النفايات التي يأكلها لتمنحه القوة و تجعله أقوى من البشر أو ربما أن التنقيبات الاثرية لحد الان لم تكشف لنا بعد المعلومات الكافية في هذا الموضوع نتيجة لكثرة المواقع الغير منقبه في بلاد الرافدين او لوجود أسباب أخرى تتعلق بالفكر الاعتقادي في بلاد الرافدين والذي سوف تكشفه معاول المنقبين مستقبلا.

ثالثا / تقديس الاله الكلب في وادي النيل

لقد تأثرت حياة المصريين في وادي النيل بالحيوانات الى درجة لم يسبق لها مثيل في تاريخ العالم القديم فقد أوجد المصري القديم روابط و علاقات عميقة و أساسية بينه و بين تلك الحيوانات منذ عصر التدجين،و في مقدمة تلك الحيوانات كانت الخراف و الخنازير و الدواجن والكلاب، التي تم أستغلالها في توفير الطعام، ثم ظهرت أفكار أعتقادية تتعلق بالاهتمام المبالغ بتلك الحيوانات وربط هذا الاعتقاد بتنمية الاقتصاد الزراعي على نطاق واسع تمهيدا لدخول مراحل الانتاج المعتمد على تنمية الثروة الحيوانية وفق منظور ديني ظهر واضحا في المراحل التأريخية اللاحقة ، وقد صنفت الحيوانات دينيا بحسب أهميتها فالمهمة منها كانت توضع تماثيلها في المعابد و الاقل منها كانت تدفن بشكل طقوسي مثل التماسيح (Taylor, 2001,p.244,246) لهذا شاع تقديس الحيوانات بشكل واضح وكبير منذ عصر الاهرام في الدولة المصرية القديمة رغم أن فكرة التقديس قد شملت الكثير من الاشياء و الكائنات لكن كانت حصة البشر و الحيوانات كبيرة فالموتى مقدسون و الحيوانات مقدسة في حياتها و بعد موتها،و وفق هذا المنظور كانت فكرة أستمرار الحياة بعد الموت قد هيمنت على المعتقدات الدينية في مصر منذ عصور قبل التاريخ، ففي البدايات الاولى كانت جثث الموتى تترك في العراء على الرمال الصحراوية التي تتولى تجفيفها مع المناخ الصحراوي،ثم فيمابعد أصبح هناك أهتمام بأجساد الموتى من عهد ثقافة (**البداري**) أذ صارت تلك الاجساد تلف أو توضع في داخل جلود الحيوانات التي كانت في الغالب قطع من بقايا ملابس الصيادين،و لحماية هذه الجثث من الحيوانات كانت توضع في توابيت من الخشب أو صناديق و بعد دفنها توضع فوقها حصران أو أواني ضخمة (تشرني، ١٩٩٦،ص٣ ; هورنونج، ١٩٩٥ ،ص١٠٠) أذ كان هم المصري القديم هو المحافظة على الجثة في مضجعها الأخير وذلك عن طريق تهيئة مايشبه المخدع الحقيقي لجسد المتوفي(أستندرف، ٢٠٠٠،ص٩١) ومن ضمن تلك الاجساد كان قسم منها لجثث الكلاب أذ حنط المصريين بعضها و اتبعوا في هذا نفس الطرق المتبعة في تحنيط البشر، فقد وجدت في مصر العليا مقابر للحيوانات ومنها الكلاب ، ولاهمية ما يتمتع به الكلب من مكانة عند المصريين فقد أفردوا له أسما أذ دعي الكلب في اللغة المصرية القديمة (**الهيروغليفية**) بمصطلح (**اوو**) وهو نفس الصوت الذي يصدره الكلب عند النباح، وتعامل السكان في حضارة وادي النيل مع الكلاب كحيوانات أليفة تستخدم في الصيد منذ العصر النيوليتي ،أذ كان الكلب الحارس الامين والصياد المرافق للانسان في حياته اليومية حتى ان سكان وادي النيل قد منحوا للكلب مكانا معينا ينام فيه قريب من اصحاب البيت او معهم في السرير، وقد رافق الكلب المصري القديم في حله وترحاله في مختلف

مجريات حياته اليومية مثل الصيد والرعي وحماية قطعان الماشية و حتى في الصراعات الحربية كان الكلب في مصر القديمة حاضرا في المعارك، اذ برزت سمة تقديس الكلب في وادي النيل منذ عصور مبكرة ، وأستمرت بسبب الاهتمام بأجساد الموتى من حقبة **(البداري)** خاصة دفن الحيوانات وفي مقدمة تلك الحيوانات كانت الكلاب كماذكرنا آنفا، أذ لفت أجساد الكلاب بعناية في حصير من الكتان حالها حال أجساد الموتى من البشر و استمر هذا الاهتمام حتى نهايات العصور التاريخية و بداية عصر الاسرات الذي ظهرت فيه رموز الكلاب في رسومات اللوحات الاحتفالية بصفته مشاركا في الاعمال السحرية، و له حضور مميز و واضح في فكرة وجود الكون أذ يرد ان الكلب في وادي النيل كان من أوائل الالهة التي أوجدت الوجود أذ نقرأ على لسان الكلب من أحد النصوص مانصه((**أنا الاله الذي جاء الى الوجود على شكل كلب،و أنا الخالق الذي جاء الى الوجود،و أنا خالق كل شيء جاء،أنا كونت لنفسي العديد من الاسماء**))، وبهذا فان الاله الكلب قد فرض نفسه على مسرح الساحة الاعتقادية في الفكر الديني عند سكان بلاد وادي النيل أذ يستمر في وصف مكانته الالهية وفي هذا نقرأ((**هو صاحب الفخامة الذي جلب للوجود الحياة والقوة و الصحة**)) و تماشيا مع مكانة الكلب يصف الاله **(شو Shu)** نفسه أذ يقول((**أنا نفسي جئت الى الوجود تحت شكل كلب في الوقت البدائي**)) (هورنونج، ١٩٩٥،ص٦١ ; Budge, 1912,p.50,52,54) ونتيجة لتربع الاله الكلب على منصة الفكر الاعتقادي بهذا الشكل فقد أهتم به الملوك منذ عصر الاسرة الاولى و نحتوا له التماثيل وكان يؤرخ به في حوليات الامبراطورية الفرعونية تحت أسم **(أنوبيس Anubis)** في تلك الحقبة الزمنية الموغلة في القدم،لهذا رسم المصريين منذ عهد الدولة القديمة على مقابرهم صورة الكلب بشكل رابض بعنق مستطيل و آذان مثقوبة ومربعة و وجه طويل مقوس و ذيل قائم و له قوة سحرية ،و بسبب أهمية الكلاب في عمليات الصيد أختيرت انواع منها لتوضع في بعض الاماكن بأعتبارها رموز مقدسة، كما ظهر رمز الكلب الذي يحمل أسم **(أوبوات Upuaut)** و الذي يعني أسمه **(فاتح الطريق)** الذي يفسح الطريق للموتى الذاهبين الى العالم الاخر، وكان اله مشهور في منطقة (أسيوط) و يدل اسمه على أنه كان يقوم بعمليات الكشف و التجوال و ربما كان هذا الاسم هو صفة من صفات الكلاب أذ دعي هذا النوع من الكلاب منذ عصر مبكر بالاله **(سيد Sed)**،و الذي كان رمزه غالبا مايحمل أمام الملك في بداية العصور التاريخية في ساحات الحرب و مواكب النصر، حتى أن مدينة **(أسيوط)** قد دعيت بمدينة الكلاب الوحشية المقدسة،و قد عرف الاله الكلب في مصر عند اليونانيين بـ **(آنوبيس)** الذي كانت عبادته سائدة في الاقليم المصري

السابع عشر في مصر العليا الذي عرفت عاصمته بأسم(**كينوبوليس Kynopolis**) أي (**مدينة الكلاب**) و كان الهها المقدس رمز الكلب الذي جسد هيئته الاله (**آنوبيس**) الذي عد اله للموتى و حامي للمدافن و ربما تقلد هذه المهام بسبب أن الكلب يقوم بنبش القبور بحثا عن عظام الموتى لهذا كانت عمليات تقديسه هي للتقرب منه لاتقاء شره باعتباره حاميا من حماة عالم الاموات(يوركر،٢٠٠٠، ص١،٣١، ; تشرني،١٩٩٦ ص١٦،١٣-١٧) وتأكيد لدور هذا الاله في مجمع الالهة المصرية فقد جعلوا له نسب مع الالهة (**ستset**) التي كانت تذكر في مراسيم الادعية الجنائزية و يرسم رمزها بجوار جثة الاله (**أوزيرس**) أذ تصفها المعتقدات الدينية المصرية أنها حبيبته التي كان يختلي معها في الظلام، و بهذه المكانة تقلد الاله الكلب (**آنوبيس**) ذي راس الكلب و جسم الانسان وظيفة خفير الاموات و دليلهم للحياة الاخرى بل صار مدير الدفن و حارس مملكة الغروب(نجيب،١٩٩١، ص٣٣٢) الذي يعتني بأجساد الموتى أثناء عمليات التحنيط التي تضمن السلامة لجثث الاموات،أذ يشاهد هذا الاله في رسوم المقابر واقفا أمام نعوش الموتى واضعا يده على المومياء تصحبه الالهة (**أيزيس Isis**) و الالهة (**نفتيس Nephtys**) وهما تنحنيان على جنبي نعش الميت،فقد كان كل مايتعلق بالوجود الجسدي للميت يعزى الى الاله (**آنوبيس**) فهو الحارس الرئيس وسيد (**الارض المنعزلة**) و التي يقصد بها (**المقبرة**)، التي أريد للصور المرسومة على جدرانها أن تخلد عالم الخلود الباقي، لهذا عد الكلب في وادي النيل اله جنائزي يرسم على شكل حيوان خرافي له راس كلب و جسم أنسان،جعلته الالهة أمينا على مومياءات الموتى خاصة الفراعنة منهم و لهذا كان يؤدي دورا بارزا ومهما بصفته اله حافظ للمقابر الملكية وله دور في النصوص الملكية الخاصة بالابدية(نونخ،١٩٩٦،ص٨٩، ٣٥٠) و نقرا من عصر الدولة القديمة مايؤكد على علاقة هذا الاله بجسد الميت اذ يرد ما نصه((**نزل الى داره بسلام جميل،وهذا ماكان مهموما به عند آنوبيس .....،بعد أن أحضر له قربان وضع على حافة البئر..... و يتم المحنط الشعائر له عند آنوبيس**))(أسمان،٢٠١١،ص٩٠) و بصفته اله للتحنيط كان يقف امام المقصورة المقدسة الخاصة بالتحنيط بهيئته الكاملة على شكل الكلب لحماية المومياء من القوى الشريرة ،وفي عملية التحنيط يقوم احد الكهنة بتأدية دور هذا الاله عند تحنيط الجثث ،فيلبس الكاهن المحنط قناع (**آنوبيس**) و يؤدي عمله في تحنيط جسد الميت،و عند تعاظم دور اله الموت (**أوزيريس**) أصبح (**آنوبيس**) مساعدا له اذ يقوم الاخير بعملية وزن قلب الميت في قاعة العدالة مع (**أوزيريس**) وقضاة المحاكم الـ (٤٢) و يحرر قلب الملك المتوفي من القيود(يوركر،٢٠٠٠، ص٥٩ ; Hart, 2005,p. 26) وأن حضور (**أنوبيس**) الى قاعة

محكمة الموتى لها دلالات مهمة على اهمية وسعة نشاطات هذا الاله الذي كان دوره واضحا في هذه القاعة فقد كانت له مهام كثيرة ومتعددة اضافة لماتم ذكره ومنها انه كان يقوم بأختبار لسان الميت اي يتحقق من صدق كلامه،كما يقوم باحتضان جسد الميت،لذا عد من الالهة الحكام و الكبار، اذ نقرأ في نص بردية الموتى ((**الحكام الالهيون الكبار في اراضي (ريختي) هم (حورس) و (ايزيس) و(آنوبيس) و .....** ،**و(تحوت)**))، وزادت أهميته بوصفه الها محاربا يشترك بشكل مباشر في المعارك التي تحدث بين الالهة اذ نقرأ((**أوزيريس....، منتصرا على أعدائه في وجود الحكام العظام الكبار .... في الليلة التي يرفع فيها آنوبيس باسطا ذراعيه و يديه فوق الاشياء**)) ،ونتيجة لاهميته الخاصة في عالم الموتى فقد ذكرت بردية الموتى أن معبدا قد بني لهذا الاله في الطريق لذلك العالم يتم فيه تناول الخبز واللحم وشرب الجعة من قبل الميت أثناء رحلته الى عالم الاموات(هرو، ١٩٨٨،ص١٢، ٦١، ٦٣، ٧٩) ولقدم عبادة (**آنوبيس**) كونه ينتمي الى الجيل القديم من الالهة الحيوانية التي ترجع عبادتها الى عصور قبل التاريخ فقد أزاحه اله الموت (**أوزيريس**) الملقب بـ (**سيد الموتى وملك الابدية**) وتنازل (**آنوبيس**) عن وظائفه ومهامه و استلمها (**أوزيريس**) بشكل كامل حتى أنه أنتزع منه مدينة (**أبيدوس**) وصار (**أوزيريس**) معبودا على نطاق واسع في الاقاليم المصرية المختلفة،و أن سبب هذا االتنازل جاء من كون (**أوزيريس**) كان قد أخذ وظيفة اله الموتى في مجمع آلهة وادي النيل و ان (**آنوبيس**) رغم أنتشار عبادته لم يرتقي في مجمع الالهة الا لمنصب الاله الوزير المساعد لملك عالم الاموات المتمتع بكونه الها مقدسا و أحد الهة مجمع وادي النيل البارزين و المهمين خاصة في عالم الاموات(تشرني، ١٩٩٦، ص١٧-١٨، ٤١-٤٢)

المصادر العربية

١- أستندرف، ديانة قدماء المصريين، ترجمة سليم حسن، القاهرة ،٢٠٠٠

٢- أسمان، يان ،الموت و العالم الاخر في مصر القديمة، ترجمة محمود محمد قاسم،القاهرة ،٢٠١١

٣- تشرني،ياروسلاف،الديانة المصرية القديمة،ترجمة أحمد قدوري،القاهرة،١٩٩٦

٤- دانيال،كلين ،علم الاثار ،الجزء الثاني،ترجمة ليون يوسف،بغداد ،١٩٩٠

٥- العميسي، فضل محمد،التجسيدات الحيوانية على الاثار في جنوب الجزيرة العربية و اليمن قبل الاسلام،الرياض،٢٠١٣

٦- النجم، حسين يوسف،أقتصاد القرى الزراعية خلال العصرين الحديث و المعدني في العراق،أطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة الموصل،كليةالاداب،٢٠٠٦

٧- نجيب ،خضرأحمد، الاثر الجليل لقدماء وادي النيل ،القاهرة،١٩٩١

٨- هورنونج،أريك ،وادي الملوك،أفق الابدية ،العالم الاخر لدى قدماء المصريين، ترجمة محمد العزب، القاهرة،١٩٩٦

٩- هورنونج،اريك،ديانة مصر الفرعونية الوحدانية و التعدد،ترجمة محمود ماهر و مصطفى ابو الخير،القاهرة ،١٩٩٥

١٠-هرو،برت ام،كتاب الموتى الفرعوني،ترجمة، والس بدج،القاهرة ،١٩٨٨

١١- يوركر،مانفرد،معجم المعبودات و الرموز في حضارة مصر القديمة،ترجمة صلاح رمضان، القاهرة،٢٠٠٠

المصادر الاجنبية

(1) Arlene C, and Noreen L, An Atlas of Interpretative Radiographic Anatomy of the Dog and Cat, London, 2002

2)Albert,M.,Ancient civilization prehistory,London,2000(

(3) Brock,J.C.,Early History Domestical Animals Westren Asia,sumer,Vol.36,1980

(4) Budge,E,A.,Legends of Egyptian,Gods,London,1912

(5) Clbert, A., The Flora and Founa of the Ancient Near East in Civilization of the Ancient Near East, New York, 2000

(6)Daniel A. Foxvog, Elementary Sumerian Glossary, California, 2009

(7) Hayes,W.C.,the Scepter of Egypt,part II,London,1978

The Routledge Dictionary of Egyptian Gods and Goddesses,London,2005 Har,t,G,)8 (

(9) Michelle, J., Determining the Antiquity of Dog Origins: London, 2004

(10)Taylor,J.,Death and the After life in Ancient Egypt,British,2001,p.244,246

(11)Wiggermann, F. A.,Black Dogs in Mesopotamia and Beyond,Germany,2017

(12)Wiggermann, F. A. Dogs, Pigs, Lamaštu, and the Breast-Feeding of Animals by Women. ,Boston, 2010.